

مجلة جامعة الإمام

العدد السادس عشر

محمد بن سعود الإسلامية

صفر ١٤١٧هـ

محيط المحيط لبطرس البستاني

(تنبيهات وتصحيحات)

الدكتور محمد صالح توفيق

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

والمعار لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وبه أستعين، وإليه أرغب في حسن التوفيق والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى طريق الرشاد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد . .

فقد تعددت مصادر الثقافة في العصر الحديث، وتنوعت ألوانها وظهر في الميدان بجانب المدرسة والجامعة المطابع بما تخرجه من كتب وصحف ونشرات، منذ القرن التاسع عشر. وقد حرصت المطابع على إعادة نشر المعجمات التراثية بين الناس، فتم طبعها وتوزيعها في أقطار الوطن العربي، كما قام بعض العلماء بإعادة ترتيب بعض المعجمات القديمة على حروف الهجاء بحسب أوائل الكلمات بقصد تسهيلها، وتشجيع طلاب المدارس على استعمالها.

ولم يعجب ما سبق ذكره اليسوعيين في لبنان فطالبوا بتأليف معاجم حديثة تسد حاجة المدارس المسيحية إليها، وتوضح لطلاب هذه المدارس ما أشكل عليهم من كلمات غامضة. وتحقيقاً لهذه الحاجة الملحة عندهم، وغلقاً لباب الولوج إلى التراث العربي القديم، أقدم بطرس البستاني على تأليف معجمه «محيط المحيط» ودفع به إلى المطابع في عجلة، دون تمحيص، وحرصوا على توزيعه على مكاتب العالم العربي.

وعَجِلْتُ بتقديم النتيجة التي انتهيت إليها من مطالعة هذه المعاجم اليسوعية. ليضعها القارئ نصب عينيه أثناء قراءته هذا البحث، هذه المعاجم وجدت لتحقيق مقاصدها المتمثلة في صرف الشباب المسلم عن أمهات الكتب العربية، ثم طبعهم بطابع الحضارة الغربية المادية، ومؤلفو هذه المعاجم يسوعيون، وهم جماعة من الدارسين النصارى، اشتركوا في وجهة النظر، وكونوا جبهة علمية موحدة، وارتبطوا فيما بينهم برباط العقيدة، والرأي الواحد، وليس من المعقول أن

نكل أمر لغة القرآن إلى هؤلاء، ونرجو منهم أن يرشدونا مخلصين إلى ما ينفع وهم قد عمدوا إلى كل قيمة ثابتة، وإلى كل قديم نقدسه، من قرآن، وسنة، وشرع وأثر، وأصيل من تراث العربية، ليقدموه لنا بالصورة التي يريدون، وعنهما يرضون ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ومن الواضح أن نصارى لبنان بروما لهم علاقات خاصة، واتصالات روحية. وقد هيأت الكنيسة سبل التعاون بين المتششرقين الأوربيين وهذه الجماعة اللبنانية من الدارسين، حدث هذا مع بطرس البستاني في ترجمته من العربية إلى العربية، ومن جاء بعد هؤلاء الدارسين.

ومحاربة الكنيسة للغة العربية ألغناه منذ القرون الوسطى فقد: «رأت الكنيسة أن معرفة اللغة العربية وما تحويه من الأسفار الإسلامية، كان أمراً ضروريا لا يمكنها الاستغناء عنه، فبدأت أول مبادرة في شمال أسبانيا بمساعدة بعض اليهود والأندلسيين والنصارى الذين كانوا يحسنون العربية بحكم معاشتهم واختلاطهم بالمسلمين إذ ذاك. ولم يكن هذا الاهتمام نابعا من تطلب المعرفة وزيادة الفهم لهذه الظاهرة الغريبة عنها، بل إنها كانت تبحث عن أسلحة عقائدية فعالة لاستعمالها في الحرب الفكرية ضد الإسلام»^(١).

واستمرت هذه الحرب الفكرية ضد الإسلام على مرّ العصور، يتخفى النصراني تحت عناوين عامة ويعمل عمله، فهذا نابليون يعلن أمام الملائم القاهري أنه مسلم، ولم يكتف بذلك بل تزياً بالعمامة وأعلن في منشوره المشهور أنه هزم البابا الذي كان سبب الحروب الصليبية ضد الإسلام^(٢).

وحسب التعريف الذي ارتضاه الدكتور على النملة للاستشراق نجد هؤلاء الدارسين يصنفون ضمن الاستشراق الذي هو «تصدي علماء غير مسلمين سواء كانوا من الشرق أو الغرب، وسواء كانوا عرباً أو غير عرب لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليدهم وشعوبهم وعاداتهم...»^(٣)، ويؤكد هذا أن ما وصف به المستشرقين ينطبق على هذه الجماعة اليسوعية، فالقاسم المشترك بين هؤلاء جميعهم أنهم لم يكتبوا عن الإسلام حبا في الإسلام وعلومه، وإنما كانت كتاباتهم

تتوَّخى الإساءة إلى هذه العلوم وأهلها والدين الذي شجَّع عليها^(٤).

ومن المغالطة الفكرية تجاهل بعض العلماء اختلاف العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب، فيشرح لطلابه هذه المعاجم درسا وكتابة من وجهة نظر لغوية محضة، وبغض الطرف عما فيها من نزعات نصرانية وحرب فكرية ضد الإسلام، فالواقع يؤكد أن اللغة العربية وعاء للنص القرآني، ودراستها هو السبيل الوحيد لفهم هذا النص القرآني، واستنباط الأحكام منه، وقد كان الأمر كذلك حين نشأت الدراسة اللغوية عند العرب موصولة الأسباب بالعقيدة. وحسبي أن أقول: إن أي دراسة لغوية لا تستمد أصولها من العقيدة الإسلامية هي دراسة فاشلة، ومعالجة سطحية، ضررها أكثر من نفعها.

وما قرأته في معاجم اليسوعيين هو نوع من الغزو الفكري، وهو أنكى في جملته وآثاره من الغزو العسكري، فالغزو العسكري له مقدماته وقد يسرق أقطاراً تحت الشمس، ولكن الغزو الفكري، معركة تمضي في صمت وهدوء، سلاحها الفكرة، والكلمة، والرأي، والنظرية، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف أو الصاروخ.

من هنا كانت الضرورة رصد هذا الفكر المنحرف المتمثل في تحريف الآيات القرآنية، وذكر أحاديث موضوعة، وطمس لمعالم التاريخ الإسلامي، وإقحام كثير من الألفاظ العامة لنشرها محل الفصحى، وتعظيم الأناجيل والكلمات الواردة في التوراة عندهم، وما نبغيه من هذا البحث هو التنبيه إلى هذا الدس والتشويه للإسلام.

ليس من المستطاع في هذا المقال المحدود أن أعرض معاجم اليسوعيين، فهذا مجاله مقالات عديدة نرجو العون من الله لتمامها، لذا أستمح القارئ عذرا في أن يكون الحديث حول أول معجم أنتجه اليسوعيون لتحقيق مآربهم وهو «محيط المحيط» لبطرس البستاني، فهو المعجم الأم لمعاجم اليسوعيين، والأغلاط الواردة فيه ورثها الأبناء بحكم أنها قامت أساساً على فكرة اختصار المعجم الأول «محيط المحيط».

وهذه حقيقة معروفة لمن اطلع عليها ودرسها، واقرءوا معي - إن شئتم - قول أنستانس ماري الكرمللي في خاتمة مقاله «البستان نسخة ثانية لمحيط المحيط» قال: «كلما ذكرنا هنا أغلاط البستان هي أغلاط أقرب الموارد في أغلب الأحيان، وأغلاط كل من نقل عن محيط المحيط، وأقرب الموارد من أصحاب المعاجم الصغيرة التي لا حاجة إلى تعداد أسمائها فهي أشهر من أن تذكر»^(٤).

وهذه أقوال الأستاذ الدكتور حسين نصار تؤيد هذه الحقيقة: «حين يقابل الإنسان أقرب الموارد بالمحيط للبستاني مقابلة سريعة يجدهما يشتركان في المحافظة على عبارة القاموس في أكثر المواضع، وفي حذف البقاع والأعلام وتوهمات الجوهرى، والضبط بالوزن والمصطلحات»^(٥). وقوله: «اختصر المؤلف «جرجس همام الشويري: معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية» مادته من محيط المحيط، وربما تفهم تلك من عبارته في المقدمة إذ يقول: «جعلت محيط المحيط أمامي لحسن تنسيقه . . . سار في منهجه على النظام الذي سار عليه البستاني بحذافيره . . .»^(٦).

أما معجم «المنجد» فقد نهج طريق محيط المحيط كما بين ذلك الدكتور حسين نصار في قوله:

«وفي عام ١٩٠٨/١٣٢٦هـ أخرج الأب لويس المعلوف معجمه «المنجد» اختصر فيه محيط المحيط أيضاً (مع الرجوع إلى التاج كثيراً) وسار على نظامه»^(٧).

وما قاله عن معجم البستان:

«مادة البستان هي مادة محيط المحيط بعينها . . .»^(٨).

وبعون من الله وتوفيقه قسمنا هذا البحث إلى قسمين:

أولهما: كلمة عن المعجم ومؤلفه

وفيها عرض موجز عن المؤلف والمعجم، يشمل حياة المؤلف، وعنوان معجمه وزمن صدوره، ومنهجه، وعقد موازنة بين الفيروز آبادي وبطرس البستاني، وإشارة عابرة عن النقد الموجه لهذا المعجم.

ثانيهما :

إعلام القارئ بأوهام هذا المعجم، جعلته في نقاط على النحو التالي :

أ - المسحة النصرانية غالبية على مواد هذا المعجم .

ب - العبث في النص القرآني .

ج - الاستهانة بالحديث النبوي الشريف .

د - طمس معالم التاريخ الإسلامي .

هـ - نقائص التأصيل اللغوي .

وأملني كبير في أن أكون بهذا العمل قد رددت بعض الدين لهذه اللغة الكريمة التي أعتز بها، وعليها أحرص، بهذا الجهد الخالص لله نسأله تعالى التوفيق، وله الحمد أولاً وأخيراً.

أولاً : المؤلف والمعجم

أ - المؤلف :

بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني ، لبناني الجنسية ، ولد في الديّة . إحدى قرى الشوف سنة ١٢٣٤هـ - ١٨١٩م ، تعلم بها وببيروت آداب العربية . واللغات السريانية ، والإيطالية ، واللاتينية ، ثم العبرية واليونانية . وتعين أستاذاً في مدرسة «عبيه» سنة ١٨٦٠م ، لمدة سنتين ، كما عين ترجماناً للقنصلية الأمريكية في بيروت ، واستعان به المرسلون الأمريكيون على إدارة الأعمال في مطبعتهم ، وعلى ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية .

له من المعاجم كتابان «محيط المحيط» الذي نحن بصدد الحديث عنه ، ومختصره «قطر المحيط» وكلاهما مطبوع ومتداول في الأسواق . ومن مؤلفاته «دائرة المعارف العربية» أكمل منها ستة مجلدات ثم أصدر أبنائه من بعده المجلدات من السابع حتى الحادي عشر ، وشرعوا في الثاني عشر ، وتوقف العمل ، وكانت وفاة البستاني سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م .

ب - تسمية المعجم :

اسم هذا المعجم كاملاً «محيط المحيط» وسبب هذه التسمية كما قال : «لما كان هذا المؤلف يحتوي على ما في محيط الفيروزآبادي ، الذي هو أشهر قاموس للعربية من مفردات اللغة ، وعلى كل زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب القوم ، وعلى ما لا بد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون سميناه «محيط المحيط»^(١) .

وكرر كلامه هذا عند حديثه عن مادة (ح و ط) فقال : «سمي هذا الكتاب «محيط المحيط» بناء على أن محيط الفيروزآبادي قد صار من مشتملاته ، لأنه مجموع من كتب شتى لغوية وعلمية . وبهذا الاعتبار سميت مختصره «قطر الدائرة» ، وهو الخط المستقيم الذي يعترض في وسط الدائرة ماراً بنقطتها ، وهي مركز الوسط منها»^(٢) .

وقد عد أنستاس ماري الكرمللي هذه التسمية أول أغلاط البستاني اللغوية، ورأى أن صحة التسمية هي «المحيط بالمحيط» لأن الصحيح أحاط بالشيء لا أحاط الشيء، مع أن لهذه التسمية تخريجا ينطبق على قواعد اللغة^(١٧) فقد جاء في المعجم الوسيط ما يؤيد صحة استعمال الفعل «أحاط» متعديا ولازما: أحاط فلان بالأمر أدركه من جميع نواحيه، ومنه في التنزيل العزيز ﴿أَحَاطَ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ سورة النمل آية ٢٢.

و: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ سورة الأنفال آية ٤٧، و: أحاط فلان الشيء : حفظه وتعهد به جلب ما ينفعه ودفع ما يضره^(١٨).

ج - زمن صدوره :

فرغ بطرس البستاني من معجمه في ١٢ يوليو سنة ١٨٦٩م - الموافق ١٢٨٦هـ، وتم طبعه في بيروت سنة ١٨٧٠م - ١٢٨٦هـ.

وقد طبع أول طبعة في مجلدين، وقامت بطبعه مكتبة لبنان ببيروت، وذكر الأستاذ محمد رضا الشيبلي ما يفيد أن الكرمللي عمد إلى نسخة من محيط البستاني تقع في خمسة مجلدات^(١٩). ويبدولي أن هذه النسخة بخط المؤلف، قبل أن يطبع المعجم في مجلدين. وقد صدر لهذا المعجم طبعة مصورة عن الأولى سنة ١٩٦٦م، ثم طبعته مكتبة لبنان مرة أخرى سنة ١٩٧٧م في مجلد واحد، وهي التي بين أيدينا، وهي تقع في أربع وتسعين وتسعمائة صفحة من القطع الكبير، بخلاف مقدمة الناشر وفاتحة المعجم. وتميزت هذه الطبعة الأخيرة بتلوين المداخل الجذرية والرئيسة بلون مختلف مما يساعد الدارس على سهولة استعمال هذا المعجم.

د - ترتيبه :

اتبع البستاني في ترتيب مواد معجمه النسق الألفبائي، ونص على ذلك في مقدمة معجمه، إذ قال: «إذا شئت كشف لفظة، فإذا كانت مجردة، فاطلبها في باب أول حرف منها، وإذا كانت مزيدة فجردها أولا من الزوائد، ثم اطلبها في باب الحرف الأول مما بقي وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر، فاطلب تلك

الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه، وكل ذلك يسهله الاستعمال والممارسة»^(١٥).

وقد صدر كل باب بكلمة عن الحرف المعقود له الباب، شرح فيها موقعه في الترتيب الألفبائي. واسمه في العبرية والسريانية، واستعمالاته المختلفة، وقدره في حساب الجُمَّل.

كما حاول مراعاة تسلسل انتقال المادة من الفعل إلى المصدر إلى الوصف، كما راعى طريقة ضبط بنية الكلمة، وأحوال تغيرها من أفراد إلى تثنية فجمع، وظل حريصاً على وضع الفعل الثلاثي المجرد قبل المزيد في مواد معجمه. واستعمل الرمز (ج) للدلالة على الجمع، وهو الرمز الذي استعمله الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط.

على أن أكبر ما عني به ناشر هذا المعجم هو تقسيم كل صفحة إلى ثلاثة أعمدة في طبعته الأخيرة. ووضع على يمين الصفحة اليمنى، الكلمة التي ينتهي بها العمود الأول، وكان الأفضل لو وضع الكلمة الأولى من هذا العمود؛ ليتيسر للقارئ معرفة الكلمات التي يضمها هذا العمود كما وضع على يسار الصفحة اليسرى الكلمة المذكورة في نهاية الصفحة.

بين الفيروز آبادي وبطرس البستاني:

اعتمد بطرس البستاني على القاموس المحيط للفيروزآبادي، وجعله مصدراً لمادته في معجمه، وصاغ بعض التفسيرات صياغة تلائم العصر الحديث، ولكنها قليلة على كل حال إذا ما قيست بما جد واستحدث مع النهضة العلمية الحديثة. ويذكر أنه أثبت بعض ما ولده المحدثون في الأقطار العربية وكذا الكلمات العامية.

ويؤخذ عليه وقوفه في شرح كثير من مواده عند حدود ما جاء في القاموس المحيط، دون أن يجوزها بشرح اجتهداي، مغفلاً خمسة قرون فاصلة زمناً بين القاموس ومحيط المحيط.

هذه المحاولة في ترتيب وتهذيب كلمات القاموس المحيط، عاصرها في الوقت

نفسه عمل رينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣ م) (تكملة للمعاجم العربية) فقد عمل بصمت طوال ثلاثين سنة، ولعل ذلك كان قبل بدء البستاني في تأليف محيطه، غير أنه قدم عملاً طيباً له أثر في بناء المعجم العربي، ولك أن تقرأ بعض المواد في «محيط المحيط» ثم قارنها بما قاله دوزي حول هذه المادة ليتضح لك الفرق بينهما، ففي مادة: «خشع» توقف البستاني عندما ورد في «القاموس المحيط» فالفعل «خشع» معناه سكن وتذلل، وخشعت الشمس: دنت من الغروب^(١) ولم يتعرض لبقية معاني الفعل القديمة الواردة في القرآن الكريم مثل: خشعت الأرض: يبست لعدم المطر كما في التنزيل العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَتْ وَرَبَّتْ﴾ [سورة فصلت آية ٣٩].

زد على هذا المعاني الجديدة التي جاء بها رينهارت دوزي في مؤلفه «تكملة المعاجم العربية» قال: «خشع: رق قلبه، أشفق، ففي المقرئ (١: ٨٢٩): كان فيه خشوع لأنه كان يبكي إذا استمع إلى قراءة القرآن أو إلى النسيب. وقد تكرر ذكر هذا الفعل في رحلة ابن جبير في (ص ١٥٤ وص ٢٠٣) مثلاً. ويقال أيضاً: (خشع إلي) ففي ابن عباد (٢: ١٥٧) الخشوع إلى صدقه، أي رق قلبه لصدق تقواه^(٢)، ومن الجديد عنده صيغة فعل من هذه المادة قال: «يقال: خشع، وخشع النفوس: حنّنها ورقّقها، وأثار انكسار القلب فيها، (ابن جبير ص ٩٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٠، ١٥١، ١٦١)، خشعة: انكسار القلب، كآبة، حزن (ابن عباد ٢٥٨٠١)^(٣) لقد حرص دوزي على ذكر الكلمات الجديدة التي استخدمت في عصر الحضارة العربية الإسلامية، ولم يقف بمعجمه عند المادة البدوية التي يعود جلها إلى القرن الثاني الهجري. ومن غير المعقول أن يتحدث مثقف عربي دون أن يستخدم كلمة «خشع» حين يريد أن يعبر عن رآه يبكي عند سماع القرآن.

ومما يؤخذ عليه أنه حين أراد التجديد في معجمه تأثر بالغرب في معاجمهم الحديثة، فأدخل كثيراً من الألفاظ المولدة والعامية، ولكي يتم له تقليد الغرب حذف جزءاً كبيراً من بنية الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والشواهد الشعرية والنثرية، وكل هذه الشواهد تمثل أصلاً في معاجمنا القديمة، ولها علاقة وثيقة بتحديد المعنى المقصود للكلمات.

ومما يذكر في هذا الصدد مقالة الأستاذ عبداللطيف الطيباوي: «إن المعلم (بطرس البستاني) على اجتهاده، وكثرة آثاره ظل في الغالب متبعاً لا مبتدعاً». وهذا واضح في قاموس، «محيط المحيط» الذي وصفه مؤلفه بأنه لم ينسج على منواله. فالحقيقة أن هذا القاموس نسج على منوال آخر ألفه جبريل فرحات، وطبع في مرسيليا سنة ١٨٤٩م بعنوان «إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» ومقدمة هذا الكتاب تذكر أنه كان اختصاراً وتبسيطاً لقاموس الفيروزآبادي. وعنوانه بالفرنسية DICTION NOTE ARABE لا يترك مجالاً للشك في موضوعه. وهذا بالضبط هو ما أخرجه المعلم بطرس البستاني بعد نحو عشرين سنة كما هو واضح في مقدمة الطبعة الأولى من محيط المحيط التي تقول إنه مبنيٌّ على الفيروزآبادي^(١٩).

فإذا عممنا النظر إلى المعاجم القديمة، ومنها قاموس الفيروزآبادي. وجدنا أن أصحابها ألفوها بعد تبحر في العلم، وصبر على البحث، وكبر في السن، وساعدهم على ذلك طول الوقت وسعته. فلم يشغلهم شاغل عن تأليف كتبهم. كما ساعدهم على ذلك حب طلابهم للعلم، فأثمر كل هذا المعاجم المتنوعة التي بين أيدينا.

أما بطرس البستاني ومعجمه فهو متهم بالتقصير، حصر نفسه في تعريفات القاموس المحيط لمئات الكلمات، ولم يستفد من مستجدات العلوم الحديثة، أقرأ مادة (ج و) يقول: «الجو» هو الهواء: أي ما بين السماء والأرض^(٢٠). وفي حديثه عن الهواء قال: هو «الجو» فأين هو من تقدم الزمن بخمسة قرون عن الفيروزآبادي؟ وما الذي أفاده من تقدم العلوم الحديثة؟

وزد على ما سبق ما في لغته من ركاكة وضعف، وحرص على تدوين استعمالات العامة للغة، والاهتمام بذكر ما له صلة بالمسيحية من طقوس نصرانية وتعريفات سريانية، ويونانية، وعبرية على حساب المادة اللغوية العربية.

و- نقد أهل اللغة له:

إنني في ضوء تتبعاتي لما كتب عن هذا المعجم، عُنيْتُ بالجانب اللغوي، تاركاً بذلك تفسيراته الدينية الخاطئة، ويكفي في هذا البحث أن أعرض رأي

باحثين مختلفين في نقدهما لمعجم «محيط المحيط» هما الأب أنستاس ماري الكرمللي، والشيخ إبراهيم اليازجي، ولكل منهما كتاب مستقل في هذا المجال. ولا شك أن من كتب عن معاجم اليسوعيين بعدهما هو ناقل عنهما، ومستفيد منهما.

حرص أنستاس ماري الكرمللي على نقد هذا المعجم في كتبه ومقالاته^(٣١) وجمع كل هذا، وأضاف إليه مستدركاته على نسخة من «محيط المحيط» في معجم سماه «المعجم المساعد» طبعته الحكومة البغدادية سنة ١٩٧٢م بتحقيق كوركيس عواد، وغيره. وبعد قراءة متأنية في هذا المعجم تبين لنا أنه يعني بذكر كلمات مهجورة أو مماتة لم يذكرها البستاني في معجمه، كما أن المآخذ التي ذكرها على معجم «محيط المحيط» أغلبها لغوية، ولم يتعرض للتفسيرات الدينية أو الاستشهاد من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف عند البستاني، وعذره في هذا هو موافقته صاحب «محيط المحيط» في الديانة، كما اتحدا في العناية بمواد اللغتين العبرية والسريانية في معجمهما كلاً ما أمكن ذلك.

ومن باب الإنصاف أن نقول إن الكرمللي تناول الجانب الديني عند البستاني مرتين في قوله: «اعتمد على رواية النصارى»^(٣٢) وفي قوله: «هو من تعابير متديني الموارنة في جبل لبنان»^(٣٣).

كما اهتم بنقد «محيط المحيط» الشيخ إبراهيم اليازجي، فله تعليقات لغوية بهوامش «محيط المحيط» جمعها المؤلفان سليم شمعون وجبران النحاس في كتاب سُمي «تنبيهات اليازجي على محيط البستاني» ولم يصدر من هذا الكتاب إلا جزء واحد، تتضمن باب الهمزة فقط، في مائة صفحة كبيرة.

وهذا وصف للكتاب ذكره الأستاذ الدكتور حسين نصار في «المعجم العربي»، وقد اجتهدت في الحصول على هذه التنبيهات، ولم أعثر عليها، وسأكتفي هنا بما نقلته من وصف أ. د. حسين نصار «المعجم العربي»: «يخرج الباحث من دراسته بأن البستاني وقع في الأخطاء التالية: التصحيف، وتفسير الألفاظ بأخرى غير موجودة في موادها، والخطأ في التفسير، وعدمه تماماً، وسوء عباراته، والخطأ في

ضبط الألفاظ، والإتيان بمعان لم ينص أحد من القدماء عليها. وقد استمد كثيرا من هذه المعاني من جوليوس وفريتاچ، ومن الآثار المسيحية. وأتاه كثير من الخطأ من سوء فهمه لبعض عبارات الفيروزآبادي، وبعض اصطلاحاته وعاداته في قاموسه^(٢٤).

هناك نقد غير مباشر لمحيط المحيط، ورد في كتاب «الجاسوس على القاموس» لأحمد فارس الشدياق، إذ عمد صاحب الجاسوس إلى نقد القاموس المحيط للفيروزآبادي. الذي اعتمد عليه البستاني في تأليف معجمه، والذي فعله الشدياق قد أصاب عصفورين بحجر واحد، إذ نقد الكتاب الأم يصيب المولود في صحته وتمامه، فمواد البستاني مستقاه من القاموس المحيط كما نص على ذلك في مقدمته: «يحتوي على ما في محيط الفيروزآبادي من مفردات اللغة...»^(٢٥).

ثانيا : إعلام القارئ بأضرار هذا المعجم

١ - المسحة النصرانية غالبية على مواده :

حرص اليسوعيون على وجود معجم عربي، يوزع في مدارسهم المسيحية ويعنى بالكلمات ذات المعاني المسيحية، ويذهب بهيبة الفصحى وهي لغة القرآن الكريم، والجملة القرآنية - كما يقولون - بالإكثار من الكلمات العامية خاصة اللهجة اللبنانية، فكان «محيط المحيط» أول معجم لديهم يوفي الغرض، ويحقق المطلب، وأخذت مكتبة لبنان على عاتقها الاهتمام بنشره، وأعدت طباعته بعد ذلك، وكانت المفاجأة لهم أن اللغويين والدارسين والكتاب والطلبة والمثقفين عامة أقبلوا على اقتنائه، فبدأ الناشر يقول في مقدمته: «... لكن حاجة السوق كانت أكثر مما توقعناه، إذ ما لبثت نسخ الطبعة المعادة أن نفذت أيضاً»^(٢٦).

إذن هذا المعجم دخل البيوت المسلمة قديماً وحديثاً وأصحابها في الغالب لا يدركون مدى السم المراق فيه، ومن المؤلم حقاً ألا يتعرض الباحثون لمن يسيء إلى الله ورسوله ودينه والمؤمنون، بحجة أن المعجم لغوي، والمؤلف يلبس ثوب

الغيور على اللغة العربية، وهذا أمر جدير بأن يهتم به الأساتذة والعلماء والمفكرون في العالم الإسلامي.

وتبدو المسحة النصرانية الغالبة في مواد معجمه في الأمور التالية:
أ - الاستهلال، إذ يلحظ القارئ أنه لم يبدأ بالبسملة على طريقة التأليف العربية، وحين نقرأ مادة «بسمل» يورد النصاري أولاً، فيذكر البسملة النصرانية قبل بسملة التوحيد الإسلامية قال: «تطلق البسملة عند النصاري على قولهم بسم الأب والابن والروح القدس، وعند الإسلام على قولهم بسم الله الرحمن الرحيم، أي: على الألفاظ نفسها»^(٣٧) مع أن هذا النحت «البسملة» لم تعرفه النصاري من قبل، وإنما هو أمر عرفه العرب في لغتهم.

وصار هذا منهجه في ذكر المواد اللغوية، ففي مادة (روح) قال: «والروح الأعظم الله تعالى، والروح القدس عند النصاري أحد الأقانيم الثلاثة، والروح الأمين عند المسلمين لقب جبريل»^(٣٨) فتعريف روح القدس عند النصاري مقدم على تعريفه لدى المسلمين.

ب - عنايته في معجمه بسرد عقائد النصاري الباطلة في مواد معجمه، من ذلك قوله في مادة (أ ب و) : والأب الأول، وإذا مددت الألف اتباعاً للغة السريانية كان علماً على الأقباط الأول عند النصاري»^(٣٩).

وبعد أن تحدث عن البركة ومعناها قال: «... والنصاري يستعملونها بمعنى الطهارة والقداسة والروحانية أيضاً، وبعضهم بمعنى العُشر تفاؤلاً.

وكلمة البركة عند النصاري آية يصرف بها القسيس الجمع في خاتمة الصلاة»^(٤٠).

وكلما تقدمت في المعجم متصفحاً له ازددت يقيناً أنك أمام كتاب نصراني في فكره. وطريقة عرض مادته. تراه في مادة (ث ل ث) قال: مصدر ثلث التثليث، وعند النصاري وجود الله في ثلاثة أقانيم. والتثليثيون القائلون بالتثليث، ويقابله التوحيدون أو الموحدون من وجه»^(٤١). «والتالوث عند النصاري اتحاد أقانيم في لاهوت واحد»^(٤٢).

ومما لا تتخطاه العين الفاحصة في مواد هذا المعجم حشده كل معرفته عن اليهود والنصارى في مادة (ح ب ر) يقول: «والْحَبْرُ: واحد أحبار اليهود لكهنتهم، وللبطرك والأسقف عند النصارى، والحبر الأعظم رئيس كهنة اليهود، ولقب بابا رومية»^(٣٣) فهل طلاب المدارس في حاجة لمعرفة كل هذا عن الحبر؟ ومن أجل المقارنة، وذراً للرماد أكمل مادته بقوله: «وسورة الأحبار من سور القرآن سورة المائدة، وسفر الأحبار ثالث أسفار التوراة»^(٣٤).

ويزداد حرصه على النصرانية في معجمه بذكر أعياد المسيحيين واليهود ففي حديثه عن الحُنْكَ قال: «عيد الحنكة عيد التقديس عند اليهود»^(٣٥).

وفي مادة (خ م س) لم يفته أن يقول: «عيد الخمسين عيد النصارى، عيد العنصرة»^(٣٦). بل زاده الحرص حرصاً في أن يعقب على الآية القرآنية الكريمة بما لديه من معتقدات النصارى، يقول في مادة (د ر ج): «الدَّرَجَة واحدة الدَّرَجَات، وهي الطبقات من المراتب، ومنه في سورة البقرة: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ وكذلك درجات الكهنوت عند النصارى لمراتبه»^(٣٧).

ج - تعريفاته للعبادات الإسلامية من وجهة نظره النصرانية :

عاب الله على أهل الكتاب تساهلهم في العبادات حيناً، وغلوهم وتشددهم، واتباع أهوائهم في كثير من ذلك، وحذرنا الرسول ﷺ من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء، فالعبادات الإسلامية تشريع توقيفي لا مجال فيه للزيادة والنقص، والتغيير والتبديل.

أليس من المؤلم أن نقرأ لدى بطرس البستاني، ما يعرضه لنا من ألفاظ إسلامية. ويقابلها بما لدى النصارى من أكاذيب، ففي مادة (ح ج ج) قال: الحاج الذي حج البيت الحرام، ويقابله عند النصارى الْمُقَدَّس نسبة إلى بيت المقدس^(٣٨) وفي مادة (ح ر م) قال: «والْحَرَمُ الحرام، أي ضد الحلال . . . والحرم عند النصارى نوعان صغير وهو أن يمنع المذنب من قبول الأسرار الكنائسية وكبير وهو أن يمنع أيضاً من شركة المؤمنين ومخالطتهم»^(٣٩).

ويبلغ سوء فعله مداه حين يقول في مادة (ج ن ز) : «وجتز كاهن النصرى الميت صلى عليه عند دفنه»^(٢١) وينسى ذكر المقصود بالجنائز عند المسلمين ، وما يتم للميت من تجهيزه والصلاة عليه قبل دفنه .

وقد يترك العبارات أو المصطلحات التي استقر معناها ليستبدل بها مصطلحات أو كلمات لها إحياءات غير مقبولة مثل : «حيعل المؤذن حيعلة ، قال : حيّ على الصلاة ، وهو ملفّق كتلفيق بسمّل وحمدل ونحوهما»^(٢٢) ، وهكذا يصل به سوء الأدب إلى استخدام كلمة «ملفّق» بدلا من التلفيق ، فقد عرفه في معجمه «لفق الحديث» : زخرفه وموهه بالباطل والتلفيق مصدر لَفَق^(٢٣) .

ويبلغ الأمر مداه أنه حين لا يجد ما يذكره عن النصرانية خلال حديثه عن العبادات الإسلامية . يصب قلمه نحو ما كان في الجاهلية ليصرف القارىء عن مجرد التفكير في الفكر الإسلامي ، ففي حديثه عن التحية قال : «التحية : السلام والبقاء والسلامة من الآفات والمُلْك ، وهي مجاز فيه على الأصح ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يحيون الملوك بقولهم : أبيت اللعن ، ولا يخاطبون به غيرهم ، حتى إن أحدهم إذا تولى الإمارة أو المُلْك قيل : فلان نال التحية»^(٢٤) ، وهو يعلم جيدا أن الإسلام قضى على هذه التحية المشهورة في الجاهلية ، وأحل محلها تحية المسلمين : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» والتي حرص على عدم ذكرها هنا في مجال كلامه عن التحية . فهو لا يكفيه عدم الإشارة إلى تحية الإسلام ، بل تجده يفرض على الطالب المسلم فرضا ترديد تحية الوثنية والشرك ، بدسها بين المواد اللغوية دسّا ، هذا من أخبث ما يقدمه النصراني تحت مظلة الغيرة على اللغة العربية لتؤكد الخسائر التي تعود على المسلم من قراءته لهذا المعجم دينا ودنيا . نعوذ بالله من شر صنعته .

٢ - العبث في النص القرآني :

وجدت الدراسات اللغوية عند العرب لخدمة الدين الإسلامي ، ولفهم القرآن الكريم الذي هو كتاب العربية الأكبر ، ولولا القرآن الكريم العربي المبين لماتت

العربية كما ماتت اللاتينية وغيرها من اللغات القديمة ، فثبتت العربية إلى يومنا هذا أمر انفردت به هذه اللغة الشريفة إذ هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية .

لست أريد بهذه الكلمة بيان فضل القرآن الكريم على لغتنا العربية فذلك تكتب فيه مجلدات ، ولكنني وددت أن ألفت نظر القارئ إلى أن هذا المعجم الذي بين أيدينا لم يصف القرآن قط بأنه «الكريم» أو «المجيد» في حين أن كتاب اليهود والنصارى وصف بالمُقَدَّس ، فهو يقول : «الكتاب المقدس» أو الأسفار المقدسة . كما أنه يرى القرآن مجرد قول مجهول القائل . فكان يكتفي أحياناً بأن يقول : (ومنه . . .) ولا يخفى على متصفح لهذا الكتاب أن يتبين أن القرآن الكريم ورد عند هذا المؤلف في المرتبة الأخيرة بعد الشعر وكلام العامة في عصره . وحين يستشهد بالنص القرآني يبتزه . ويحرف فيه بالزيادة أو النقصان ، كما تعتمد تضليل القارئ المسلم بذكر أسماء سور القرآن مختلفة عما هي في المصحف . وتحديد السورة التي لم ترد فيها الآية الكريمة المستشهد بها أحياناً . وكان عليه أن يتحرى الدقة القرآنية في معجم يقرؤه المسلم والنصراني وغيرهما ، وما سبق يحتاج منا إلى تفصيل على النحو التالي :

أ - الخطأ في اسم السورة :

يرد كثيراً في معجمه الخطأ في بيان اسم السورة ، ومن ذلك :
 - قوله : «الشواب : مطلق الجزاء على الأعمال خيراً أو شراً . . . ومن استعماله ، في الشر قوله في سورة الانشقاق ﴿ هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(١٤) والحقيقة أن هذه الآية هي الأخيرة من سورة المطففين .
 - قوله : «الخشاع اسم فاعل . ومنه في سورة الممتحنة ﴿ لَوَأَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(١٥) .

والصواب أن هذه الآية هي الواحدة والعشرون من سورة الحشر .
 - قوله : «الحديقة : الروضة ذات الشجر ، ج حدائق ، أو البستان من النخل والشجر . . . وفي سورة التكوين وزيتونا ونخلًا وحدائق غلباً^(١٦) .

والطفل المسلم يرد عليه ضالته بأن هاتين الآيتين من سورة عبس ، وبالتحديد رقم ٣٩ - ٣٠ من هذه السورة .

إن من يتأمل هذه الأخطاء في أسماء السور يدرك أنه كان لا يقرأ الآية من المصحف . بل كان ينقل اسم السورة من أعلى الصفحة . وبعض المصاحف تذكر في أعلى الصفحة السورة التي ستبدأ ، ولو كان موقعها في نهاية الصفحة أو في وسطها ؛ إذ الآيات الأخرى هي من تكملة السورة السابقة وكان بالإمكان قراءة رقم الآية . وربط هذا الرقم بالسورة المبدوءة بالآية الأولى ليعرف اسمها ، ولكن هذا لا يعنيه ، ولا يحقق مطلبه .

يضاف إلى ماسبق الخطأ في كتابة بعض أسماء السور ، كان يقول : حضر فلان حضارة أقام في الحضر ، وفي سورة المؤمنين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(٤٧) . والنطق الصحيح المحكي هي (سورة المؤمنون) .

ومما يؤخذ عليه تحريف الكلمات القرآنية ، وحذف جزء منها ، من ذلك : «وتداینوا أيضا استدان بعضهم من بعض ، ومنه في سورة البقرة إذا تدایتم بدين فاكتبوه»^(٤٨) . وفيما كتبه من الآية تنقصه بعض الكلمات في وسطه ، لأن صحة الآية الكريمة :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنَتْ بَيْنَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

[سورة البقرة آية ٢٨٢] .

ومن سخريته واستهزائه بالقرآن الكريم أنه في مادة (س م و) ذكر هذه الآية محرفة أيضا بطريقة أخرى قال : «والمسمى اسم مفعول ، والمعلوم المعين ومنه في سورة البقرة : إذا تدایتم إلى أجل مسمى فاكتبوه»^(٤٩) . نجده أتى بـ ﴿إلى أجل مسمى﴾ ولم يكن ذكره في مادة (دي ن) وفي المقابل أسقط هنا كلمة «بدين» وقصده من وراء هذا عدم ذكر الآية كاملة في أي موضع حتى لا تثير رغبة القارئ في قراءة القرآن إن كان مسيحيا ، ولا تبعث الراحة والطمأنينة في قلب المؤمن .

ج - الخطأ في ضبط الكلمة القرآنية :

ليس غريبا أن تقع الأخطاء منه في ضبط الكلمة القرآنية، فاللحن منه مقصود في الآيات الكريمة، وشاع أمره. ومن ذلك :
 مادة (خ ش ي) قال : « . . . وفي سورة الأحزاب ﴿وتخشى الناس والله حق أن تخشاه قبل أي تستحي من الناس﴾^(٥٠). وصحة هذا الجزء من الآية ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [سورة الأحزاب آية ٣٧].

د - إسقاط جزء من الآية الكريمة :

إن أحسنا الظن، ولو مرة بهذا المؤلف يمكن أن نصفه بعدم درايته بآيات القرآن الكريم. فقد كثر لديه ترك بعض الكلمات في وسط ما استشهد به :

من ذلك مادة (ح س ن) قال : «الأسماء الحسنى أسماء الله التسعة والتسعون كالرحمن والكريم وهلم جرا . . . ومنه في سورة إسرائيل ادعوا الله أو الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى»^(٥١). فقد أسقط الفعل «ادعوا» قبل كلمة الرحمن فصحة الآية الكريمة : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [آية ١١٠ من سورة الإسراء].

ومن إسقاطه عمدا للكلمات القرآنية ما ذكرناه سلفاً آية الدُّين في سورة البقرة، فقد أوردها في مادة (د ي ن) فأسقط من الجزء الأول من الآية «إلى أجل مسمى»، وفي مادة (س م و) ذكر الجار والمجرور وصفته، وأسقط كلمة «بدين». ولم يكن الأمر يكلفه شيئا لو نقل هذا الجزء كاملا، وقد كثر الاستشهاد بها.

فإذا ما توافر لمادته شاهدان أحدهما يتكلم عن الإسلام والمسلمين تركه إلى الشاهد الآخر، ففي مادة (ح ز ب) استشهد بما جاء في سورة المجادلة ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾

مع أن الآية الأخيرة من هذه السورة بها كلمة «حزب» مضافة إلى الله، ولكنها تعني المؤمنين فلم يذكرها ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ولما تكلم عن جمع كلمة «حزب» قال: «الأحزاب جموع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبي . . . وفي سورة المؤمن : يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب»^(٢٠)، ولا يكمل الآية التي تفسر كلمة الأحزاب، بل يذكر بقية النص القرآني بصيغة الشك فيه «قيل هم قوم نوح وعاد وثمود، ومن أهلكه الله من بعدهم»^(٢١)، فنص الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۚ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [سورة غافر ٣٠ - ٣١].

هـ - إحلال كلمة مكان أخرى في النص القرآني :

يعمد بطرس البستاني إلى النص القرآني فيضع كلمة مكان أخرى وهذه أمثلة لما فعل :

١ - في مادة (ح د د) قال: «حدود الله طاعته وأحكامه الشرعية لأنها مانعة عن التخطي إلى ما وراءها. ومنه تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»^(٢٢). والمعروف عن البستاني أنه حين يقول: «ومنه» يقصد القرآن الكريم، وعلى هذا فالآية المستشهد بها جاء فيها تحريف، فهي الجزء الأخير من الآية الأولى من سورة الطلاق، وصحته ﴿وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ . . . ولو كان المقصود بها الآية الواردة في سورة البقرة رقم ٢٢٩، فقد دخلها تحريف أيضاً فنص الآية ﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٢ - في مادة (ح رس) قال: «الاحتراس مصدر احترس، وعند أهل المعاني نوع من إطناب الزيادة ويسمى التكميل . . . نحو إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يعلم إن المنافقين لكاذبون.»^(٢٣).

وصحة الآية الكريمة ﴿... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

فواضح هنا أنه وضع كلمة «يعلم» مكان «يشهد» من الآية الأولى من (سورة المنافقون).

والعجيب أنه استشهد بالآية الكريمة وبدل فيها وحرف ولم يكتف بهذا، بل فضل عليها قول عترة العبي :
فصل عليها قول عترة العبي :

وإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
فصل على الآية الكريمة السابقة قول عترة العبي الجاهلي فقال عن البيت
الشعري : « وهو أحسن ما قيل في هذا الباب »^(٥٦).

٣ - في مادة (ح ل ق م) قال : « الحلقوم الحلق . . . وفي سورة الواقعة فلولا
إذا بلغت الروح الحلقوم كناية عن قرب الموت »^(٥٧). نجده هنا زاد كلمة « الروح » في
الآية، ويبدو أنه نقل كلام المفسرين دون النص القرآني، وكان عليه حينئذ عدم
النص على أن ما سيذكره من سورة الواقعة.

وهناك ملاحظات مهمة نختم بها قراءتنا لبعض الآيات القرآنية التي استشهد بها
البستاني في معجمه.

— الملاحظة الأولى :

يخالف البستاني أحيانا ميوله النصرانية في معجمه، فينقل نصا من التراث
العربي القديم، ويدخله آية قرآنية مسبقة بـ « قال الله تعالى » فيذكر النص كما هو
دون زيادة أو نقصان، ورد ذلك في مادة (ح ص ب) قال : « . . . قال أبو عبيدة :
المراد بالحصب في قوله تعالى : ﴿ حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ ،
كل ما ألقته في النار أي : حصبتها به »^(٥٨).

— الملاحظة الثانية :

هذا المؤلف انقاد لأوامر الكنيسة، فصرف اهتمامه عن الآيات القرآنية، وحكم
فيها هواه، وذلك ضلال يدركه كل ذي لب وبصيرة حين يقرأ هذا المعجم. ومهما
يتقدم العهد على ضلالته وباطله المكتوب فسيظل ضلالا يكشفه كل قارئ مسلم
لمعجمه، فالحق واحد لا يتغير في كل الأزمان.

- الملاحظة الثالثة :

حرية البحث مكفولة في الحدود التي لا يتعرض معها الإسلام ولا المسلمون للخطر بشرط ألا يكون فيها إخلال بالأمانة العلمية.

وما فعله بطرس البستاني لا يدخل ضمن حرية البحث فقد أهان جماعة المسلمين وآثار الفتن، وحرف في مصدر العقيدة، ومصدر التشريع الأول في الإسلام. وذلك هو قمة الخطر.

وأي تعديل في كلمات القرآن من لحن، أو وضع كلمة مكان كلمة، أو بتر للآية هو تعديل في الصياغة، والتعديل في الصياغة يترتب عليه تعديل في المعنى والمضمون، وذلك تعديل في العقيدة نفسها. فهل عمل كهذا يقال: إنه من حرية البحث؟ هذا تفكير فاسد لا ينبغي أن يقام له وزن، أو يحسب له حساب في مجتمعنا المسلم. وهذه فرنسا - دولة لا دينية من الناحية الرسمية - قد أعدمت شريطا سينمائيا لشبهة المساس بكرامة الرهبان ورجال الأديرة، فكيف نكلف طلابنا المسلمين الرجوع إلى مثل هذا المعجم في دراستهم الجامعية؟ إن مجرد القراءة في معجم كهذا من طالب يتكوّن تفكيره العلمي في مرحلة الجامعة، يفتح عليه بابا واسعا من الفتنة، فنغلق هذا الباب سدا للذرائع، وإطفاء لفتنة لا يعلم مداها وسط شبابنا المسلم إلا الله.

٣ - الاستهانة بالحديث النبوي الشريف

بلغت الكراهية بواضع هذا المعجم حدا لا مثيل له، فقد أخفى الصورة الحقيقية للسنة النبوية والحديث النبوي الشريف، وحجب عن النبي لقب «المصطفى». هذا اللقب الذي صار علما على نبينا محمد ﷺ، نراه أشار إلى ذلك مرة حين دعت المقارنة إلى ذلك، «لقب النبي عند المسلمين» والإناء المصطفى لقب بولس الرسول عند النصارى^(٩).

وهذه أمثلة من الأحاديث التي ذكرها يبدو فيها عداؤه للسنة النبوية، والرسول المصطفى (ﷺ):

١ - في مادة (ح م د) لم يتحدث عن شخصية سيد الخلق محمد (ﷺ)، ولم يشير إلى اسمه مطلقاً، وحين عرض لاسم «محمود» قال عنه: «اسم الفيل الذي استصحبه أبرهة الأشرم الحبشي حين ذهب إلى مكة ليهدم البيت الحرام^(١)»، ألم ترد في القرآن سورة كاملة باسم سورة محمد؟! ألم يبشر عيسى بن مريم برسول من بعده اسمه أحمد؟! إنه لعجب عجاب أن ينصرف عن كل هذا في معجمه فيذكرنا بقصة أبرهة الحبشي، وحين تحدث عن كلمة «أحمد» طاف بنا في أربعة وعشرين سطراً كاملة حول المثل «العود أحمد» ليصرفنا عن سمي بهذا الاسم وبشر به الإنجيل. وفي الوقت نفسه يركز في حديثه على شخصيات نصرانية لا قيمة لها أمثال: شمشون وصمويل وعيلام ونحميا ونقول: هذا معجم يتناول مفردات اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، هل هذه المسميات النصرانية مما ورد في الكتاب والسنة؟.

وأين الكلمات القرآنية الواردة في مادة (ح م د) كـ (محمد) و (أحمد) من أسماء النبي (ﷺ)؟ كذلك لم يشير من قريب أو بعيد إلى بداية سورة الفاتحة «الحمد لله رب العالمين» بل قال: «الحمد مصدر حمد، وهو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري على قصد التعظيم، وهو أعم من الشكر ونقيض الذم، ونقيض الشكر الكفر، ورجل ومنزل حمد، أي: محمود من باب الوصف بالمصدر^(٢)».

وأغشى الله على بصره فلم ير في المعاجم القديمة أنّ مادة (خ ت م) لا تخلو من الإشارة إلى أن النبي الأعظم محمداً ﷺ هو خاتم النبيين فهو في هذه المادة قال: الخاتم والخاتم آخر القوم ج خواتم^(٣) وكفى بالمعاجم القديمة عنه غناء وفضلاً في نصها على ماورد في سورة الأحزاب: «ومنه قوله تعالى: وخاتم النبيين^(٤)».

٢ - في مادة (ص ح ح) لم يذكر «صحيح البخاري» أو «الصحيح» جرياً على طريقته في التعظيم على كل ما هو إسلامي.

٣ - استشهد ببعض الأحاديث الصحيحة، وكان يسبقها بقوله: «وفي الحديث» «ومنه الحديث» دون ذكر اسم النبي ﷺ، واكتفى من الحديث بما يدل على

مادته، ولم يحرص على تكملة الحديث.

٤ - استشهد بأحاديث موضوعة لا أصل لها، من باب تشتيت الذهن المسلم وصرفه عن الأحاديث الصحيحة في هذه المادة اللغوية، وذلك يتفق مع نزعته النصرانية في معجمه - ومن ذلك:

- في مادة (ح در) قال الحيدرة الأسد والهلكة . . . وحيدرة لقب الإمام علي بن أبي طالب، ومنه الحديث: أنا مدينة العلم وحيدرة بابها^(١١) وهذا الحديث موضوع لما يأتي:

أ - لم يذكر أحد ممن ناقشوا هذا النص كلمة «حيدرة» فالكل أجمع على قولهم: «وعلى بابها». ورد ذلك بخمسة طرق عن علي بن أبي طالب، وب عشرة طرق عن ابن عباس، وكلها كما قلت روايات تذكر اسم (علي) ولم تقل كلمة (حيدرة).

ب - قال الحافظ أبو جعفر المكي: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت يحيى ابن معين يقول: كتبت عن إسماعيل بن مجالد، وليس به بأس، وكنت أرى ابنه هذا عمر بن إسماعيل شويطن، ليس بشيء، كذاب، رجل سوء خبيث، حدثنا عن ابن معاوية بحديث ليس له أصل عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(١٢).

ج - وقد علق ابن الجوزي على هذا الحديث فقال: «هذا حديث لا يصح من جميع الوجوه. وقد بين أن هذا الحديث ليس له أصل. ونقل قول ابن عدي: هذا الحديث موضوع واضعه يعرف بأبي الصلت، وقد رواه جماعة سرقوه منه كما قال: «وقد سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: قبح الله أبا الصلت»^(١٣).

٤ - طمس معالم التاريخ الإسلامي

نظر بطرس البستاني إلى التاريخ الإسلامي بمنظار مادي، غلب عليه الحقد الذي يحرف صاحبه عن طريق الإنصاف في أحكامه، ويبعده عن الموضوعية في ذكر الأحداث، لذلك نراه يغض الطرف عن رؤية الأحداث التاريخية التي انتصر

فيها المسلمون ، فلا يكاد يذكرها في معجمه ، على حين يبرز أحداث الفتنة وهزائم المسلمين ، فتزد بالتفصيل في معجمه ، وفي كل حدث تاريخي يذكره نشتم منه رائحة صليبية وقحة .

ونظرا لحرصه على أن تكون صفحات هذا البحث قليلة ، رأيت الاكتفاء هنا بما جاء في المواد [ب در ، ح ب ب ، ح ج ج ، ح ن ن ، خ ر ج ، د ث ر] . ومن خلال هذه المواد يتأكد لنا مدى طمسه لمعالم التاريخ الإسلامي المجيد .
أ - في مادة [ب در] قال : « بدر : اسم موضع في الحجاز بين الحرمين وقع فيه في أول الإسلام قتال مشهور بقتال يوم بدر يذكر ويؤنث »^(١٧) واكتفى بهذا دون أن يذكر أن النصر كان من نصيب المسلمين في هذه الغزوة .

ب - لم يترجم لأشرف الخلق محمد ﷺ في مادة (ح م د) ، ولو جاء ذكر (محمد) عرضا رغم أنه ، لم يتبعه بالصلاة عليه . في حين أنه ترجم لشخصيات نصرانية وصفها بـ «القدسين» ، وفضل على كل ما هو نصراني على أشرف الخلق (ﷺ) في مجال المقارنة : «الحبيب لقب يوحنا الانجيلي عند النصارى ، وحبيب الله لقب محمد عند المسلمين»^(١٨) .

ج - وفي مادة (ح ج ج) عقد المقارنة ليوضح الفكر النصراني لديه ، فهو يقول «الحاج الذي حج البيت الحرام ، ويقابله عند النصارى المُقدَّس نسبة إلى بيت المقدس»^(١٩) هذا تعقيب في غير محله هدفه إشاعة الطقوس النصرانية بين الشباب المسلم ، ولذلك لم يتكلم عن «حجة الوداع» كمعلم إسلامي بارز ، فما ذكره هنا في مادته (ح ج ج) ولا في مادة (ودع) كذلك .

و - في مادة (د ث ر) ذكر الفعل (دثر) دون إشارة إلى نزول الوحي على الرسول (ﷺ) أول مرة ، وقوله (ﷺ) للسيدة خديجة «رضي الله عنها» دثروني دثروني» بل لم يذكر اسم سورة المدثر لأنها تعني النبي محمداً (ﷺ) ، وفي مقابل هذا ابتعد بالقارئ إلى قصة أخرى تعبّر عن القتل ، فهذا ما كتبه : «ودثر النائم : غطاه بالدار ، ومنه ما حكى عن عبدالمسيح بن الريان أنه دخل إلى قبة في ليلة باردة ، وكان فيها أسارى قد ناموا بلا غطاء ، فقال للموكلين عليهم دثروا أسراكم ، وخرج ،

فقاموا إليهم بالسيف فقتلوه، لأنهم فهموا منه معنى الإهلاك»^(٧٠).

قارن هذا بما ذكرته المعاجم القديمة حين ذكرت الحديث الشريف الذي أوردته كتب الصحاح في باب الوحي، وكلام الرسول ﷺ لزوجته «دثروني دثروني . . .» يقيني أن هذا معجم نصراني من ألفه إلى يائه، وإن لبس ثوب الغيور على اللغة العربية بما عنون لمعجمه ومختصره، فهو سافر - حقاً - في تحطيم عرش الإسلام واللغة العربية.

نعم، إن المعاجم اللغوية ليست مصدراً تاريخياً تستقي منه الأحداث ولكننا نأخذ على هذا الكاتب عرضه للأحداث التاريخية التي لا قيمة لها كالأحداث النصرانية، والشخصيات الأدبية كقصّة دلامة وبغلته^(٧١) ويتجاهل أحداثاً ذات قيمة في التاريخ الإسلامي، وفي كل الأحوال هو يقدم معجماً لغوياً للناشئة من طلاب العلم كافة فكان عليه بيان معنى الكلمة لغوياً، بل عليه أن يسخره لبيان معاني وألفاظ الشريعة الإسلامية لأنها لغته.

٥ - نقائص التأصيل اللغوي

اللغات الثلاث «العربية والعبرية والسريانية» انحدرت من أصل واحد، موطنه الجزيرة العربية قديماً، قبل أن تتفرق ذرية نوح عليه السلام في أنحاء الأرض، وبين هذه اللغات الثلاث تشابه كبير في الألفاظ المستخدمة في النصوص المأثورة، وبعض الألفاظ أخذت صوراً متعددة ابتعدت بها عن الأصل.

والمفترض في صاحب محيط المحيط أنه لديه القدرة على تأصيل الكلمات الواردة في معجمه، لما توفر لديه من معرفة للغتين العبرية والسريانية ولكن نزعتة النصرانية طغت عليه، فجعل كلمات عربية في أصلها واشتقاقها غير عربية. ولم يضع في حسابه، إلا تفضيل اللغات الأخرى عليها، فإن لم يجد تشابهاً للكلمة العربية في العبرية والسريانية قال إنها معربة عن الفارسية مع أن الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس رأى أن «بعض الكلمات السامية قد استعادت الفارسية في عصر متوغل في القدم، ثم عادت إلى العربية على أنها فارسية»^(٧٢).

وقد تبع الفيروزآبادي في أقواله المشهورة «دخيل، أعجمي، فارسي، . . . الخ» ، دون الوقوف على أصل المفردات أو ردها إلى أصولها الصحيحة، فهو لم يقطع بصحة رأي قاله في هذا الشأن، بل عاش في كنف القاموس المحيط ومشتملاته، كما لم يسجل شيئا ذا بال من لغة القرن التاسع عشر ولا مستجدات العلوم الحديثة، ونحاول في الصفحات القادمة إعطاء أمثلة لكلمات نسبها إلى اللغات الأخرى، هذه في الأصل عربية اللفظ والمعنى.

١ - الأجرُ والأجرُ والآجرون: «معرب أكور بالفارسية وهو تراب يحكم عجنه وتقريصه ثم يحرث لبني»^(٧٣)، هو نقل ما قاله صاحب الصحاح وابن منظور والفيروزآبادي، والجواليقي. ولم يفكر بأسلحته التي معه، ومنها إجادته العبرية والسريانية، فهذه الكلمة سامية الأصل، قديمة الاستعمال، وردت في اللغة الأكديّة بصيغة «أكرو Aggu» وفي اللغة الآرامية «أكورا» وصورتها في الفارسية «آكور»^(٧٤).

وبدولي أن هذه المادة اللغوية من الكلمات العربية القديمة التي لم تصل إلى أيدينا كشأن كثير من كلام العرب، فهي عربية موعلة في القدم، وليست تعريبا من الفارسية، كما أنها ليست داخلية العربية من أخواتها الساميات، أفلا يمكن أن نقول العكس إن الكلمة الفارسية أو الآرامية هي المأخوذة من العربية.

والقول الفصل في هذا الأمر لعلماء المقارنات السامية: «اعتبار الألفاظ المشتركة في اللغات السامية عموما، أو المشتركة بين العربية والآكادية بصفة خاصة من ذلك التراث اللغوي الذي عرفته اللغة السامية الأم قبل أن تبدأ الهجرات إلى العراق والشام، أي: أن هذه الألفاظ ترجع إلى ما قبل سنة ٢٥٠٠ عام»^(٧٥).

فهذه الكلمة عربية الأصل باتفاقها مع اللغة الأكديّة الأقدم تدوينا من سائر اللغات السامية.

٢ - في مادة (أ ن س) قال: «الإيسان : الإنسان، ولا يبعد أن يكون مأخوذاً من «إيشان» مصغر «إيش» بالعبرانية لإنسان العين، ومعناه إنسان صغير»^(٧٦).

ثبت أن هذه المادة اللغوية من الأصول المشتركة بين اللغات السامية بل رآها الدكتور حسن ظاظا من الكلمات الشائعة فيما قبل تاريخ هذه اللغات «السامية» للدلالة على الإنسان^(٧٧).

هذه الكلمة «إنس» موجودة في العربية وفي العبرية (אִישׁ «إيش») وعن المؤنث منها قال الدكتور حسن ظاظا: «المؤنث منها مستفيض في كل هذه اللغات، أحيانا كما هو، وأحيانا منقلبة سينه شينا أو ثاء، كما هو الحال عندنا في العربية في كلمة «أنثى» مع وجود جمع امرأة في العربية على «نساء» و «نسوة». هذه الصيغة المؤنثة من «إنس» بصورتها الصوتية المتقاربة توجد في البابلية والآشورية والفينيقية والآرامية بجميع لهجاتها من آرامية مصرية وآرامية يهودية وسريانية وتدمرية، كما توجد في الحبشية والعربية الجنوبية»^(٧٨).

ولفظه «إنس» تدل في الأصل السامي القديم على الرجل أو الإنسان وهذا رأي البصريين الذي ملخصه: أن الإنسان مشتق من الأنس - بضم الهمزة، وهو خلاف الوحشة، وذلك إما للتناسب من جهة اللفظ حيث وجدت فيه حروف الأنس برمتها. ومن جهة المعنى حيث يستأنس النوع الإنساني بعضه ببعض، لأنه مدني بالطبع لأقوال له إلا بأنسه مع أبناء جنسه. ومن العرب من يقول: سُمِّيَ الإنسان إنسانا أنهم يؤنسونه أي يبصرون بخلاف الجن فإنهم يجتنون اجتنانا أي يستترون، فيكون الإنسان على هذا من الإيناس بمعنى الإبصار كالإنس، وكذا إنسان العين وهو ما يبصر فيه الإنسان شخصه لرقته وصفائه^(٧٩).

ومما ورد في التاج قوله: «ممن سمع (الإنس) بالكسر (البشر كالإنسان) بالكسر أيضاً، «الواحد إنس» بالكسر. . . أناسي جمع إنسان كسرحان وسراحين، ولكنهم أبدلوا الياء من النون»^(٨٠).

وبمقارنة هذا الجمع «أناس» باللغات السامية الأخرى نجد أن النون أصلية في المفرد والجمع، فالمفرد «إنس» يقابله في العبرية (אִישׁ «إيش») والمتبع في اللغة العبرية أن النون تبدل ياء حين يقع بعد كسر وبدليل وجودها في الجمع «أنا شيم» وهذا الجمع مكون من جمع تكسير يقابله في العربية «أناسي» وأضيفت

إليه علامة جمع المذكر «-٣٣» مع مراعاة التقارب الصوتي بين الشين والسين وفي العربية الجمع «أناسين».

أما المفرد المؤنث فهو واحد في اللغتين العربية والعبرية بلفظه ومعناه فـ (יְהוֹנָתָן) «إشأ» في العبرية يقابلها في العربية (أنثى)، فالتاء تقابل الشين، والنون في العبرية هي مدغمة في الشين لوقوعها بين كسر وساكن وتعود هذه النون إلى الظهور في جمع المؤنث (יְהוֹנָתָן «ناشيم») الذي هو (نساء) في العربية.

٣ - في مادتي (أى س) و (ل ي س) قال: «الأيس الوجود . . ولا أيس أي لا موجود . . . وعندى أن أيس في العربية كإيت في السريانية، ويش في العبرية، موضوعة للدلالة على الوجود، ثم تستعمل بمعنى يوجد الموجود وليس لنفي ذلك لـ لوأيت ولؤيش أي لا يوجد»^(٨١).

هذه المسألة اللغوية أشار إليها الخليل بن أحمد بقوله: «أيس كلمة قد أميتت، العرب تقول: ائتنى به من حيث أيس وليس، ولم يستعمل «أيس» إلا في هذا، وإنما معناها كمعنى من حيث هو في حالة الكينونة والوجد والجدة، وقال: إن «ليس» معناها «لا أيس» أي لا وجد»^(٨٢).

وحدث أن طرحت الهمزة في العربية وألصقت اللام بالياء، وهذا من التطور اللغوي الذي أصاب أداة النفي «ليس» بعد الخليل، وجعلها تموت في صورتها القديمة، فهذا الفراء ينطق عبارة الخليل هكذا «ائتنى به من حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو، وكذلك قولهم: جىء به من حيث أيس وليس»^(٨٣).

٤ - في مادة (أى ل) قال: «إيل: اسم الله تعالى بالعبرانية أو السريانية معناه القوي القدير»^(٨٤). والذي يبدو لنا من دراسة النقوش العربية القديمة أن هذا الاسم كان مستخدماً في العربية، وقد ركب هذا الاسم مع الأفعال الماضية في الغالب مثل «وهب إيل» و «زدايل» و «زاداييل» و «نصرإيل» وذلك في الكتابات الصفوية. ولا تزال بعض هذه الأسماء مستعملة معروفة مثل «نصر الله» الذي هو «نصرال» و «نصرإيل» عند الجاهليين، و «عبدالله» الذي هو «عبدإيل» ولا تختلف مثل هذه

الأسماء المستعملة في الزمن الحاضر عن تلك الأسماء الجاهلية إلا في إحلال لفظة «الله» التي صارت الاسم الخاص بالله في موضع «ايل» التي كانت شائعة مستعملة عند الجاهليين وعند غيرهم من الساميين.^(٨٥)

وفي الكتابات اللحيانية الأسبق عهدا من الصفوية وردت هذه الأسماء التي تضمنت اسم «ايل» كما يتبين ذلك من النص الآتي: «ومن الأسماء «الليحانية» التي تضمنت اسم «ايل» الأسماء «مراايل» «مرأايل» و «جرم ايل» و «سعد ال» «سعد ايل» و «ايس ال» «اياس ايل» و «ال بر» «ايل بر» و «عزال» «عزايل» و «عم ال» و «عم ايل» و «يمسك ال» و «يمسك ايل»^(٨٦).

كما أن اسم «ايل» بمعنى «الله» ورد في اللغة الأكديّة بمعنى الإله، وفي اللغة الأوجريّة اسم أبي الآلهة، وكان أيضا من آلهة الكنعانيين^(٨٧).

وهذا الاسم «ايل ܐܝܠ» حدث له تطور في اللغات السامية فصار يستخدم غالبا مع صفة فيقال «اسرائيل ܐܝܠ ܝܝܪܐܝܠ» اسم علم معناه «يجاهد مع الله». «وجبرائيل» أي رجل الله أو عبد الله، و«ميخائيل» أي من قبل الله واختصر اسم «ايل» في نهاية الاسم المنسوب إليه ف قيل (دانيال) أي: الله قضى، و «حزقيال» أي: الله يقوى^(٨٨).

كما حدث تطور آخر لهذا الاسم في الكتابة الصفوية إذ «اختصر الصفويون وغيرهم بعض تلك الأسماء المركبة، واكتفوا منها بكلمة واحدة كما في «أوس» الذي هو «أوس ال» «أوس ايل» في الأصل، وهو بمعنى عطية الله، وكما في ملك «مالك» الذي هو «مالك ايل» في الأصل، و «مشى» الذي هو «مشى ال» «مشى ايل» في الأصل، و «متى» الذي هو «متى ال» «متى ايل» في الأصل، وهكذا في عدد آخر من أمثال هذه الأسماء^(٨٩).

والتطور الأخير لهذا الاسم «ايل» هو إحلال اسم الجلالة «الله» محله بمجيء الإسلام، واقتصر استخدام «ايل» مع الصفات فقط في أسماء الملائكة «جبريل» «اسرافيل» و «عزرائيل» . . . الخ. وبعض الأسماء كاسم «اسرائيل» ووراء ورود

هذا الاسم في القرآن الكريم سبب أوضحه السيوطي فقال: «لم تخاطب اليهود في القرآن إلا بياضي اسرائيل دون «يابني يعقوب» وهي أنهم خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم، موعظة لهم، وتنبئها من غفلتهم، فسموا بهذا الاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى، فإن اسرائيل اسم مضاف إلى الله في التأويل»^(١).

فهذا اللفظ «ايل» له جذور عربية، ويخالف الواقع أن قلنا إنه من المسميات التي لم يعرفها العرب من قبل، فهذا من الألفاظ المشتركة في اللغات السامية، ولا يجوز تخصصه بالعبرانية أو السريانية، كما فعل بطرس البستاني، ولكن هذه طريقته في رجوع كل ما هو عربي أصيل إلى هاتين اللغتين، ويمكن القول: إن اللغة العربية بمجيء الإسلام استخدمت كثيرا اسم الجلالة «الله» وركب مع الأسماء للدلالة على الأشخاص فقليل «عبدالله» «عبدالإله» في حين استمرت العبرية في تسمية أشخاصهم بالاسم «ايل» مركبا مع الأفعال أو الصفات.

٥ - في مادة (ب رد) قال: «البريد: البغلة المرتبة في المربط، تعريب (بريده دم) بالفارسية، ثم سمي به الرسول عليها، ثم سميت المسافة به، وقيل حقيقته أنه شيء ينصب في موضع فيبرد فيه، أي يثبت، ومن هذا المعنى أخذ اسم البريد في لغات أوربا، ثم قيل للدابة التي تسير من ذلك الموضع إلى مثله بريد. والعامية تسمي البريد بالبوسطة، والتمر»^(٢).

ولم يكن بطرس البستاني هو أول من قال بأن كلمة «البريد» فارسية الأصل، فقد سبقه إلى هذا كثير من علماء العربية كالزبيدي في التاج^(٣) والزمخشري في الفائق^(٤). ولم يقطع الجو اليقي بأعجمية اللفظ، وذكر إمكانية اشتقاقه من «برد»^(٥). كما أن المتخصصين في الفارسية خطّوا من قال بفارسية هذه الكلمة، ورأوا أنه إذا كان لابد من عزوها إلى الفارسية فتكون من «بردن» - بفتح الأول والثالث، وسكون الثاني، أي نقل وحمل^(٦) فإذا أضفنا إلى ما سبق أن علماء الساميات قطعوا بأن الكلمة من الأصل السامي القديم فهي في السريانية Baridho بريد. رسول^(٧) تبين لنا أن هذه الكلمة «بريد» عربية الأصل، كما في اللغات السامية، خاصة وأنها في الأكادية «بريدو» أي السريع في مشيته، أو الرسول السريع.

وهذا الأصل الأكادي قريب مما ننطقه في العربية في حالة الرفع . ولهذا قال الدكتور فؤاد حسنين : «وعن هذا الأصل السامي القديم انتقل اللفظ إلى سائر اللغات السامية والهندية والأوربية»^(١٧).

بل إن أغلب علماء الساميات رأوا أيضا أن العبرية والسريانية والآرامية هي التي أخذت عن العربية لاحتفاظها بأكثر وأعرق خصائص السامية الأم^(١٨).

وتوضح المقارنات بين اللغات السامية المختلفة أن العربية احتفظت بمجموعة من الخصائص المغرقة في القدم ، والتي ترجع إلى اللغة السامية الأولى^(١٩).

ومما اتفق عليه الباحثون بالدليل العلمي أن الأكادية تمثل الصيغة الأحدث رغم قدم نقوشها ، والعربية التي لم تصلنا إلا بعد الأكادية بآلاف السنين قد احتفظت في عزلتها الصحراوية بعدد من الألفاظ القديمة كما احتفظت بالدلالات الإعرابية للاسم ، واحتفظت بعدد من الأصوات التي هجرتها بعض اللغات السامية الأخرى^(٢٠).

كلمة ختامية

هذا البحث تبصير للطالب المسلم، والمثقف المسلم بما في هذا المعجم من أغلاط دينية وأخطاء لغوية مر ذكرها، وهذا الهدف حرص عليه علماء العربية القدامى، ونصحوا به، يقول أبو منصور الثعالبي: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها . . . والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة»^(١١).

وما فعله بطرس البستاني، وغيره من اليسوعيين، لا يقارن بجهد علمائنا القدامى الذين جاهدوا وثابروا في معاجمهم، وصارت العربية عندهم هي المقدمة على جميع اللغات، وهي كذلك عند جميع المسلمين. أما بطرس البستاني، فهو يقدم عليها اللغتين العبرية والسريانية، ويصرف همه إلى الإساءة إلى الدين الإسلامي في كل مناسبة تأتيه في معجمه، فالإنجيل والتوراة عنده ممجدان، أما القرآن الكريم فإنما نراه في معجمه قد وُضع في مرتبة دون، كما تجرأ على محاربة النبي ﷺ وجميع معالم الدين الإسلامي.

هذا هو المرمى الصحيح لبطرس البستاني في معجمه، وقد علمنا الإسلام أن نرفض ما يفسد العقيدة أو يخالفها، وإن كان قد وصل إلينا وداخلنا فعلينا أن نتخلص منه، وننأى عنه . . . نسأل الله أن يسدد خطانا. والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

الهوامش

- (١) انظر: الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشرافية ص ٦ من إعداد قاسم السامرائي .
- (٢) المرجع السابق نفسه ص ١٥ .
- (٣) الاستشراف في الأدبيات العربية د. على النملة ص ١٧ .
- (٤) المرجع السابق نفسه ص ١١٠ .
- (٥) مقال : البستان نسخة ثانية لمحيط المحيط للأب أنستاس ماري الكرملّي . مجلة مجمع دمشق ، مجلد ١٤ ، الجزء الأول لسنة ١٩٣٦ م .
- (٦) المعجم العربي نشأته وتطوره ج ٢ / ٧٢٠ - ٧٢١ .
- (٧) المرجع السابق نفسه ٧٢٣ / ٢ .
- (٨) المرجع السابق نفسه ٧٢٤ / ٢ .
- (٩) المرجع السابق نفسه ٧٢٦ / ٢ .
- (١٠) مقدمة محيط المحيط ص ٢ .
- (١١) محيط المحيط مادة (ح و ط) ص ٢٠٥ .
- (١٢) من مقال : المعجم المساعد للكرملّي للأستاذ محمد رضا الشيبّي ص ٤٢ ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد التاسع لسنة ١٩٥٧ م .
- (١٣) راجع المعجم الوسيط مادة (ح و ط) .
- (١٤) المعجم المساعد للكرملّي للأستاذ محمد رضا الشيبّي ص ٤٢ من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ع ٩ .
- (١٥) مقدمة محيط المحيط ص ٢ .
- (١٦) محيط المحيط مادة (خ ش ع) ص ٢٣٣ .
- (١٧) تكملة المعاجم العربية لـ رينهاردت دوزي ، مادة (خ ش ع) ١٠١ / ٤ .
- (١٨) المرجع السابق والصفحة .
- (١٩) مقال المعلم بطرس البستاني للأستاذ عبداللطيف الطيّاوي في مجلة مجمع دمشق المجلد الخامس والأربعون .
- (٢٠) محيط المحيط مادة (ج و) ص ١٣٩ .
- (٢١) راجع كتاب أغلاط اللغويين القدماء ، ومقالاته : البستان في الميزان ، مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١١ ، ج ١ ، ٢ ، والبستان نسخة ثانية للمحيط مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١٤ ، ج ١ .
- (٢٢) أغلاط اللغويين القدماء ص ٢٨٨ .
- (٢٣) المرجع السابق نفسه ص ٢٨٥ .
- (٢٤) المعجم العربي د. حسين نصار ٧٣١ / ٢ .
- (٢٥) مقدمة « محيط المحيط » لبطرس البستاني .

- (٢٦) المرجع السابق والصفحة .
- (٢٧) محيط المحيط مادة (ب س م ل) ص ٤١ .
- (٢٨) محيط المحيط مادة (روح) ص ٣٥٨ .
- (٢٩) محيط المحيط مادة (أ ب و) ص ٣ .
- (٣٠) محيط المحيط مادة (ب ر ك) ص ٣٧ .
- (٣١) محيط المحيط مادة (ث ل ث) ص ٨٣ .
- (٣٢) المرجع السابق نفسه والصفحة .
- (٣٣) محيط المحيط مادة (ح ب ر) ص ١٤٣ .
- (٣٤) المرجع السابق نفسه والصفحة .
- (٣٥) المرجع السابق مادة (ح ن ك) ص ٢٠١ .
- (٣٦) محيط المحيط مادة (خ م س) ص ٢٥٥ .
- (٣٧) محيط المحيط مادة (د ر ج) ص ٢٧٤ .
- (٣٨) محيط المحيط مادة (ح ج ج) ص ١٤٩ .
- (٣٩) محيط المحيط مادة (ح ر م) ص ١٦٤ .
- (٤٠) محيط المحيط مادة (ج ن ز) ص ١٢٨ .
- (٤١) محيط المحيط مادة (ح ي ع ل) ص ٢١٠ .
- (٤٢) محيط المحيط مادة (ل ف ق) ص ٨٢١ .
- (٤٣) محيط المحيط مادة (ح ي ي) ص ٢١٢ .
- (٤٤) محيط المحيط مادة (ث و ب) ص ٨٦ .
- (٤٥) محيط المحيط مادة (خ ش ع) ص ٢٣٣ .
- (٤٦) محيط المحيط مادة (ح د ق) ص ١٥٥ .
- (٤٧) محيط المحيط مادة (ح ض ر) ص ١٧٥ .
- (٤٨) محيط المحيط مادة (ذ ي ن) ص ٣٠٣ .
- (٤٩) محيط المحيط مادة (س م و) ص ٤٣١ .
- (٥٠) محيط المحيط مادة (خ ش ي) ص ٢٣٤ .
- (٥١) محيط المحيط مادة (ح س ن) ص ١٦٩ .
- (٥٢) محيط المحيط مادة (ح ز ب) ص ١٦٥ .
- (٥٣) المرجع السابق نفسه والصفحة .
- (٥٤) محيط المحيط مادة (ح د د) ص ١٥٤ .
- (٥٥) محيط المحيط مادة (ح ر س) ص ١٦١ .
- (٥٦) المرجع السابق نفسه والصفحة .
- (٥٧) محيط المحيط مادة (ح ل ق م) ص ١٨٨ .

- (٥٨) محيط المحيط مادة (ح ص ب) ص ١٧٢ .
- (٥٩) محيط المحيط مادة (ص ف و) ص ٥١٣ .
- (٦٠) محيط المحيط مادة (ح م د) ص ١٩٢ .
- (٦١) المرجع السابق والصفحة .
- (٦٢) محيط المحيط مادة (خ ت م) ص ٢١٧ .
- (٦٣) تاج العروس مادة (خ ت م) ص ٢٦٧/٨ .
- (٦٤) محيط المحيط مادة (ح د ر) ص ١٥٤ .
- (٦٥) كتاب الضعفاء للحافظ أبي جعفر المكي تحقيق د. عبدالمعطي قلنجي ج ٣/ ١٤٩ - ١٥٠ .
- (٦٦) كتاب الموضوعات لأبي الفرج بن الجوزي ج ١/ ٣٤٩ - ٣٥٥ .
- (٦٧) محيط المحيط مادة (ب د ر) ص ٣١ .
- (٦٨) محيط المحيط مادة (ح ب ب) ص ١٤٢ .
- (٦٩) محيط المحيط مادة (ح ج ج) ص ١٤٩ .
- (٧٠) محيط المحيط مادة (د ث ر) ص ٢٦٩ .
- (٧١) محيط المحيط مادة (د ل م) ص ٢٩٠ .
- (٧٢) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ١٢٩ .
- (٧٣) محيط المحيط مادة (أ ج ر) ص ٤ .
- (٧٤) من تراثنا اللغوي القديم لطفه باقر ص ٣٧ .
- (٧٥) علم اللغة العربية د. حجازي ص ٢١٣ .
- (٧٦) محيط المحيط مادة (أ ن س) ص ٩١ .
- (٧٧) الساميون ولغاتهم د. حسن ظاظا ص ١٣ .
- (٧٨) المرجع السابق والصفحة .
- (٧٩) نور الإنسان لرضي الدين الحنبلي ، تحقيق د. رشيد عبدالرحمن العبيدي مقال في مجلة الأستاذ عدد (٣) من المجلد الأول، بغداد ١٤٠٠هـ .
- (٨٠) تاج العروس مادة (أ ن س) ص ٩٨/٤ .
- (٨١) محيط المحيط مادة (أ ي س) ص ٢٣ .
- (٨٢) كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣٠/٧ ، مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ١٦٤ .
- (٨٣) تاج العروس للزبيدي ١٠٤/٤ ، ٢٤٤/٤ .
- (٨٤) محيط المحيط مادة (أ ي ل) ص ٣٣ .
- (٨٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧/ ٢٣٤ .
- (٨٦) المرجع السابق نفسه ص ١٦٠ .
- (٨٧) الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية للحر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ص ٣٣ - ٣٤ .
- (٨٨) انظر : المرجع السابق ص ٣٤ .

- (٨٩) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧/٢٣٤ .
- (٩٠) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢/١٤٤ .
- (٩١) محيط المحيط مادة (ب رد) ص ٢٤ .
- (٩٢) تاج العروس للزبيدي ج ٢/٢٩٨ .
- (٩٣) المرجع السابق نفسه والصفحة .
- (٩٤) المعرب للجواليقي ١/٦٧ .
- (٩٥) الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص ١٨ .
- (٩٦) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية لمارا عاد اغناطيوس (مقال) .
- (٩٧) الدخيل في اللغة العربية د. فؤاد حسنين (مقال) .
- (٩٨) كلام العرب من قضايا اللغة العربية د. حسن ظاظا ص ٥٨ .
- (٩٩) علم اللغة العربية د. حجازي ص ١٩٩ .
- (١٠٠) اللغة العربية عبر القرون د. حجازي ص ٢٦ .
- (١٠١) فقه اللغة للثعالبي ص ٢١ ، ٢٢ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - الإنتقان في علوم القرآن للسيوطي، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
- ٢ - أغلاط اللغويين القدماء للأب أنستاس ماري الكرملّي بغداد ١٩٣٣ م.
- ٣ - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية لماراغناطيوس أفرام الأول «مجلة المجمع العربي بدمشق، المجلد الثالث والعشرون، الجزء الثاني ١٩٤٨ م.
- ٤ - البستان في الميزان للأب أنستاس ماري الكرملّي، مجلة المجمع العربي بدمشق المجلد الحادي عشر، الجزء الأول والثاني ١٩٣١ م.
- ٥ - البستان نسخة ثانية لمحيط المحيط، للأب أنستاس ماري الكرملّي مجلة المجمع العربي بدمشق، المجلد الرابع عشر، الجزء الأول ١٩٣٦ م.
- ٦ - تاريخ العرب قبل الإسلام لـ جواد علي، الجزء السابع، القسم اللغوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٧ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٠٦ هـ.
- ٨ - تكملة المعاجم العربية لـ رينهارت دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد العراقية للنشر ١٩٨١ م.
- ٩ - الدخيل في اللغة العربية، د. فؤاد حسنين، مستلة من مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) المجلد الثاني عشر، الجزء الأول مايو ١٩٥٠ م.
- ١٠ - الرسالة السبعينية بإبطلال الديانة اليهودية، للخبّر الأعظم لإسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، قدم له وعلق عليه عبدالوهاب طويلة، دار القلم دمشق الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- ١١ - الساميون ولغاتهم د. حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٢ - علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٣ م.
- ١٣ - الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية، إعداد قاسم السامرائي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ١٤ - كتاب الموضوعات لأبي الفرج بن الجوزي القرشي، تحقيق / عبدالرحمن بن عثمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

- ١٥ - كتاب الضعفاء الكبير للحافظ أبي جعفر المكي، تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٦ - كتاب العين للخليل بن أحمد تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، العراق ١٩٨٤م.
- ١٧ - كلام العرب من قضايا اللغة العربية د. حسن ظاظا، دمشق، دار القلم ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٨ - اللغة العربية عبر القرون د. محمود فهمي حجازي، القاهرة ١٩٦٨م.
- ١٩ - محيط المحيط لبطرس البستاني، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٧م.
- ٢٠ - المعجم المساعد للكرمي للأستاذ محمد رضا الشبيبي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد التاسع ١٩٥٧م.
- ٢١ - المعجم العربي نشأته وتطوره د. حسين نصار القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
- ٢٢ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
- ٢٣ - المعرب (من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) للجواليقي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦١هـ.
- ٢٤ - المعلم بطرس البستاني للأستاذ عبداللطيف الطياوي، مجلة المجمع العربي بدمشق، المجلد الخامس والأربعون.
- ٢٥ - مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩م.
- ٢٦ - من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.
- ٢٧ - من تراثنا اللغوي القديم لـ طه باقر مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٨٠م.
- ٢٨ - نور الإنسان لرضي الدين الحنبلي تحقيق د. رشيد عبدالرحمن العبيدي، مجلة الأستاذ، العدد الثالث من المجلد الأول، بغداد ١٤٠٠هـ.